ONE OF MAN'S GREATEST HELPERS.

خدمة للانسانية

اول خادم للانسان

ثمن الكتاب غرش صاغ

طبع في المطبعة الانكليزية الاميركانية ببولاق مصر
سنة ١٩١٢

Be Kind to the Donkey

ONE OF MAN'S GREATEST HELPERS.

خدمة للانسانية

اول خادم للانسان

ثمن الكتاب غرش صاغ

طبع في المطبعة الانكليزية الاميركانية ببولاق مصر
سنة ١٩١٢

مقدمة

بسم الله

الحمد لله الذي خلق الحيوان لاجل خدمة الانسان وامرنا بالرفق فيه والرحمة. فله الشكر الكثير على هذه النعمة. اما بعد فهذا كتاب موضوعه وجوب الرفق والاعتناء التام بالحيوانات على اختلاف انواعها لا سيما نوع الحمير منها خصوصاً في البلاد الشرقية منها لان غرس الحنو والشفقة بقلوب الناس في الحيوان من اهم الامور الناتجة عن التدين والتمدن الموجودين في طبيعة الانسان بحكمة الرحيم الرحمن ولا شك ان القساوة والتجبر على اي ذي حياة كان من الاعمال الوحشية البربرية المخالفة للانسانية ولكل دين ومذهب. واذا نظرنا الى حيوان نستخدمه لاجل قضاء حاجاتنا التي نعجز عن قضائها بانفسنا غالباً وتفكرنا في ان قدرته على الخدمة متوقفة على سلامته من الآلام والاوجاع وسلامته لا توجد او لا تتم الا بالاعتناء به والشفقة عليه بجلب ما ينفعه ودفع ما يضره. او لو تأملنا بانه مسخر لنا وعبد مطيع لامرنا والحال انه اعجم اي غير قادر على النطق والشكوى لما يصيبه من انواع المصائب والآلام وليس له لغة مفهومة لاحد لينصره على ظالمه لاخذنا عليه حنو وجذبتنا

لرحمته شفقة ربما تفوق على شفقتنا وحنونا على ابناء جلدتنا من بني الانسان. او ان الرفق بالحيوان ارقى من الرفق بالانسان ولذا قال المستر كاترل الذي كان رئيساً للجنة كشف الجنايات في بلاد اميركا «بعد اختباري نحو خمس وعشرين سنة وجدت ان عدد المجرمين قليل جداً من الذين ربوا على محبة البهائم ونشأوا على الرفق بها. وفي بحثي عن علل الجرائم واسبابها ايقنت ان العلة الاولى هي النقص في تهذيب الاخلاق»

قال المطران ثن معاملة البهائم بالرحمة والحنو يجب ان ينادي بها الوعاظ على المنابر ويعدها معلمو مدارس الاحد من اجل الواجبات المسيحية

وقال جورج اوكال اننا نقدر ان نمنع كل انسان عن الوف من ضروب القساوة بالكلام اللطيف الصادر عن اخلاق مهذبة اكثر مما نقدر ان نمنعه عنها بمرافعته في المحاكم

وقال القس فارر «ان تعلم الولد الحنو والرأفة والعواطف البشرية الشريفة خير سبيل له الى الدين والمدنية الصحيحة ولكن اذا استمر على طيشه وقساوته كان ذلك شر طريق الى المحاكم والسجون

وورد في كتاب موضوعه «الآلام التي لا حاجة اليها انما هي القساوة» ما يأتي الانسان في حياته الدنيا غير مخير فيه حسب شرائع الله وللحيوانات الدنيا ما للانسان من الحواس والنواميس الطبيعية. ولا ينتفع احد من مخلوق ضعيف قاصر منفعة في غير سبيل الحق الا الجبان

الحمار

﴿ سلامته وراحته وحاجاته وويلاته ﴾

ربما لا يوجد حيوان لانصيب الحقيقة في فهم طباعه وغرائزه مثل الحمار فاخطأنا في وصفه بالبلادة والعناد حتى اننا جعلناه عنوان التهكم ومثال الجهل والحقيقة انه برئ من هذه التهمة

ولو ان اكثر البهائم تكبر بسرعة ولا تعيش عمراً طويلاً مثل الانسان الا انها تشبه الاولاد في محبة اللعب وتشبههم ايضاً في مباشرة الاعمال متى كبروا ويبتدئ الحمار ان يكون مفيداً للانسان عندما يبلغ السنة الثانية من عمره مثل ان يحمل احمالاً خفيفة الى مسافات قصيرة فاذا بلغ اربع سنوات كان صالحاً للاستخدام في اشغاله الاعتيادية ويحتاج الى الراحة بعد الشغل في كل ادوار عمره كما يحتاج الانسان ومن خصاله الميل الى المزاح والتسلية ما لم يوقعه نكد الحظ تحت يد سيد قاس

رأيت يوماً ما والشمس ماثلة للغروب قطيعاً من الحمير تتفسح على ساحل البحر وتلعب وتلهو وتركض وترفس وتعانق بعضها بعضاً كما يتعانق الاصحاب وتتمرغ في التراب كأنها تعلل ابدانها بشيء من الالعاب الرياضية

وكانت هذه الحمير سعيدة الحظ مستوفية نصيبها من الراحة وفسحة المعيشة وسبب ذلك لانها كانت لجماعة من الاولاد الفوا فرعاً لجمعية الرفق بالحيوانات فاقتنى كل منهم حماراً وشارط اخوانه ان يحسن معاملته وتربيته ويقدم له علفاً كافياً ومغذياً وعينوا جائزة من المداليات والكسوة الخصوصية لمن يصير حماره اسمن جسماً واحسن طبعاً

ولا عجب اذا رأيت هذه الحمير راغبة في خدمة اصحابها لانهم عاملوها باللطف والاحسان حتى استمالوها الى خدمتهم طوعاً واختياراً بسرعة ونشاط ولم تكلفهم سوقاً ولا سياسة الا في النادر على انه لا يبرح من بالك ان احسن حمار في الدنيا يميل الى الراحة مهما بلغ نشاطه وترويضه كما ان احسن ولد قد يسأم من مزاولة العمل ويميل الى الفسحة ولا يوجد على وجه الارض رجل يوالي العمل دواماً ولا تميل نفسه الى الراحة في بعض الايام وان علمت ذلك فما احرى بك ان تبدل خطتك مع هذه الحيوانات المفيدة والجيدة من القساوة الى اللين والرفق

لما كنا صغار السن وجدنا آباء واصدقاء عاملونا باحسن معاملة وربونا بحنو زائد ولطف غزير فلماذا نعامل بالقساوة بهائمنا التي ليس لها في الوجود من يرثي لها سوانا أو لست تعلم انه صعب على البهيمة اذا كلفتها ما ليس في وسعها كما هو صعب عليك ان كلفك احد عملاً خارجاً عن طاقتك واكرهك على اتمامه بالضرب والتعذيب او لست تدري ان البهائم مخلوقة من دم ولحم كالانسان فارفق بها واشفق عليها وانت بدون

شك تحصل على مقدار وافر من خدمتها لك عفواً اكثر مما انت حاصل عليه بتعذيبها وسوء قيادتها

حكوا ان غلاماً كان يسوق حماراً عليه زكيبة قمح الى المطحنة على مسافة ساعة وكان يضربه ويزجره رغبة في توفير الوقت فاعترضه شيخ حكيم وقال له ان اردت ان توفر وقتك وتبلغ المطحنة قبل الغروب فارفق بحمارك ولا تكلفه من الركض ما فوق طاقته فلم يذعن الولد لنصيحة الشيخ وبقي يضرب حماره وينخسه بمنخس من حديد فاضطر الحمار المسكين ان يميل على احد جانبيه واوقع عن ظهره زكيبة القمح وتعطل الغلام وقتاً طويلاً حتى مر به رجل اعانه على تحميل الزكيبة على ظهر الحمار

فترى من ذلك ايها القارئ العزيز انك ان اعتنيت ببهيمتك وخصوصاً الحمار واحسنت معاملته يشعر بمعروفك ويخدمك بقلبه ولا يحوجك لضربه ولا تعنيفه باللعن والسب وقال بعض العارفين ان للحمار غرائز توهله لادراك المعاملة الحسنة كما للاولاد وعليه فالضرب والزجر لا يزيدان الحمار الا خبثاً وعناداً

﴿ ابو حشيش ﴾

كل يعلم ان الانسان الذي يعمل عملاً متعباً يحتاج الى طعام يختلف عن طعام الولد الذي لا يعمل شيئاً الا اللعب غير ان الولد الذي لا يتناول

الغذاء القانوني وهو صغير السن لا ينمو قوياً ولا يكون ذا صحة جيدة وهكذا حال الحمير والخيل وسائر البهائم ما دام الجحش الصغير يعدو في الحقول مع امه ويرضع حليبها لا يفتقر الى شيء آخر ولكنه بالتدريج يتعلم كيف يختار انسب الاعشاب واطراها ويأكلها. والحمار مولع كثيراً بالبقول المشتملة على الصودا والملح ويفضلها على البرسيم وهو ماهر باتتخاب البقول المتنوعة الاشكال وحين يتقدم في السن ويعجز عن العمل يطلب الحبوب واصول النبات والدريس

وليعلم القارئ العزيز انه ما من بهيمة اجمل من الحمار الصغير الذي سنه بضعة أشهر ولا سيما حين يلعب كجرو الهر وهو لسوء حظه لا يعلم ان حسن منظره يكون سبباً لعقابه بانفصاله السريع عن امه وبيعه بيع الكلاب

فمن عهد ليس ببعيد بيع جحش صغير جميل ووقع بين ايدي احد مكنسي المداخن واضطر ان يبيعه فحن بعضهم عليه واشتروه وسموه أبا حشيش فاعتاد وقتاً طويلاً ان يتبع الاولاد في اوقات التنزه كالكلب وكان عشيرهم المحبوب وصديقهم الحميم. ومع انه كان يحب اللهو واللعب كان على غاية من اللطف وسهولة الانقياد. فاخذه يوماً فريق الى التنزه ولما قطعوا جسراً من خشب امتنع ابو حشيش من متابعتهم لخوفه من صوت حوافره على الواح الجسر فرجعوا ليأتوا به وما كان اللطف ولا الجر ولا الدفع ولا الانتهار يغريه على احتمال ذلك الصوت المخيف تحت

اقدامه ولما ضاقت بهم الحيل عمدوا الى حيلة تركه وحده وكانت هي الواسطة الموصلة الى المطلوب فانه لما رآهم تركوه غلب مخاوفه ورفع ذنبه وقطع الجسر بأسرع ما يمكن تخلصاً من ذلك الصوت الهائل رغبة في ان يلحق اصحابه

ولما شاخ ابو حشيش واصبح خشن المعاشرة واوغل في حب المزاح كان يمسك الاولاد بثيابهم حتى يكاد يرفعهم عن الارض ويرقص بهم متمايلا ويرفس برجليه بهيئة تضحك الثكلى وصار من الصعب عليه ان يدرك كيفية التخلص من مثل هذه الالعاب الخشنة

ان ابا حشيش لانفصاله عن امه قبل الاوان لم ينم النمو الطبيعي ولا بلغ جسمه الحجم والقوة المناسبين للاعمال الشاقة فاصبح عاجزاً عن القيام بالاعمال حتى استخدموه في جر عربة خفيفة . ولو بقي عند ذلك الكناس لكان حظه التعاسة والشقاء لانه كان مضطراً الى العمل الشاق قدر أم لم يقدر . فلما كان اصحابه الاول قد اضاعوا له وقته وكان اصحابه الأخر خائفين من ان يبيعوه الى عبودية قاسية ولم يكن عندهم حقل ولا ساحة يسرح فيها ويمرح توفيراً لاسباب راحته اصبح في حال يرثى لها ولم يعش طويلا

والحمير في اسبانيا جميلة الهيئات واجسامها اكبر من اجسام الحمير الانكليزية لسبب المناخ الحار الذي يوافقها وشدة اعتناء الاسبانيين بها

فانهم لا يفصلونها عن امهاتها ولا يسوقونها الى العمل قبل ان تقدر عليه ويعاملونها معاملة اجود الخيول واجملها

﴿ كيف نطعم حماراً ﴾

ان الحمار حيوان سهل الانقياد وانظف الحيوانات لانه لا يرد الماء القذر ولا يمسه ان لم يجبره عليه الظمأ الشديد ويكره العلف العتيق ولا سيما العفن ويرغب في الاعشاب التي يظنها لذيذة الطعم

اقتنى بعضهم حماراً سماه ندي وكان يختار من الطعام ما دل على حسن ذوقه

حكي انه كان منذ بضع سنين لفتى حمار استخدمه لجر عربة صغيرة وكان يوقفه امام احد مواقف السكة الحديدية لنقل امتعة الركاب الى البلد باجرة قرشين الى اربعة ولا يكتفي اصحاب البيت بدفع الاجرة للفتى بل يدفعون الاجرة للحمار ايضاً وكانوا دائماً يناولونه قطعة خبز مغموسة بشراب حلو. فنقل مرة امتعة الى بيت يبعد عن الموقف نحو ٥٠ متراً وبقي واقفاً خارج البيت وحده برهة كانت له فرصة للافتكار ولا بد من انه خطر بباله انه من الخطأ ان ينقل صناديق الى بيت لا يقدم اصحابه له شيئاً يأكله مع ان في جيرته بيت ينال من اصحابه شيئاً لذيذاً. فسار بهدو الى المضيف واخذ يقرع الباب برأسه الى ان خرج الناس وهم يضحكون ثم ناولوه المكافأة المعتادة على خدمته

ويظهر ان اصحاب الحمير يظنون ان الحمير بعد العمل تستطيع ان تنعش اجسامها التي اعياها التعب من طعام الهواء فلا يرسلونها الى حيث تجد شيئاً تقتات به ويظنون ان اللحم والدم يقومان على لا شيء

فمن الجهل الفظيع والقساوة البربرية ان تهمل البهائم لانها ان لم تنل طعاماً قانونياً مغذياً كافياً لم تقدر على العمل كما ان اصحابها لا يقدرون كذلك عليه. فان اطعم الحمار صاحبه ثلاث مرات في اليوم كافأه على طعامه. فعلى صاحبه ان يقدم له صباحاً بعض البرسيم واصول النبات وفي اثناء النهار علفاً كافياً من الحبوب وشربة ماء عليه وفي المساء ان لم يطلقه الى مرعى جيد يرعى فيه مدة الليل عليه ان يعشيه كما فطره بل يزيد على ذلك قليلاً من الحبوب هذا مع ما يجب عليه من عرض الماء الجديد له مراراً بمقادير قليلة

وان الحمار يعيش ٣٠ سنة اذا عومل معاملة قانونية ولكننا نراه لا يعيش اكثر من عشر سنين بسبب بخل صاحبه عليه بطعامه الكافي وقساوته عليه الامور التي تخسره ٢٠ سنة من عمر خادم يخدمه بامانة لظنه ان قلة طعامه من باب التوفير والاقتصاد

ان الحمار يؤدي صاحبه كل غرش ينفقه على طعامه واذا عومل معاملة مهر صغير سيكون قادراً على ان يكافئ صاحبه باربعة اضعاف نفقة طعامه وقد تيقن ذلك بائعو الفاكهة مؤخراً فانهم باعاتهم حميرهم جيداً اصبحت ذات مناظر تسر الخواطر وتقر بها النواظر

﴿ جاك الحمار المسن ﴾

كل من زار لندن وتجول في شوارعها يرى حميراً عديدة ذات مناظر حسنة تجر العربات التي تنقل البقول واصحابها يتباهون بها ويبذلون غاية جهدهم في تأدية الطعام الجيد والراحة الكافية وفي تنظيفها وحسن ترتيب كسائها

ان اللورد شافتسبري كان نصيراً شريفاً للبهائم وكان لكلامه وقع حسن في معرض البهائم الذي اقيم في القصر البلوري . وقد لفظ كثيراً من الخطب المفيدة على ما سماه «ذوات الآذان الطويلة» وفي احدى هذه الاجتماعات قال احد الخطباء «ان حسن السياسة للحمار تفيده كالطعام» وقد صدق بقوله هذا لان الحمار لا يأبى ان يعد من المخلوقات المتأنقة التي تحب الترتيب والنظافة فانه ان لم يجد من يساعده على النظافة ساس نفسه ما استطاع بتمرغه على طريق جافة ونهوضه وانتفاضه فانه يكره ان يتبلل بالماء كرهاً شديداً ويفضل ان يستحم بالغبار الجاف كالعصفور ويتجنب المشي في الطرق الموحلة حتى لا تتبلل حوافره . واول جائزة في معرض القصر البلوري قدمت لحمار كان منظره احسن منظر مع انه كان في سن الثالثة والعشرين قضى ١٦ سنة منها تحت ادارة صاحب واحد وهو الحمار جاك المشار اليه

فلو لم يعامل جاك بالرفق والانسانية لما بقي ذا منظر حسن كهذا في

ايام شيخوخته مع انه في كل تلك السنين كان يعمل عملاً شاقاً في جر الفحم ليحصل معاشه ومعاش صاحبه. فانه ما زال قادراً على جر ثلاثة اوساق يومياً في كل مرة وسق و بذلك كافأ صاحبه لحنوه عليه. وقد قل عدد الحمير التي قدرت ان تعمل هكذا في ذلك السن. وعلى الجملة كانت حالة جاك حسنة فما شكا من معاملة قاسية ولا ضعفت قوته الجسدية من الضرب وقلة الطعام

وقد اعجب احد الخواجات من منظر جاك في المعرض حتى سأل صاحبه عن ثمنه. فاجابه «ان جاك لا يشترى بدراهم يا مولاي. فانه اذا انفصل عنا نكون كأنا فقدنا واحداً من اهل البيت»

وكان بقرب جاك في ذلك المعرض حمار أتي به لاول مرة فظهر عليه الخوف الشديد اذ رأى نفسه في محل غريب كثير الازدحام فجعل يثب و يرفس برجليه ويحاول ان يعض كل من اقترب منه اظهاراً لما استولى عليه من الرعب في هذا المشهد والكره لما به من الاصوات الغريبة والازدحام الذي ما اعتاده حتى خشي كل فرد من ان يكسر شيء من عظامه. وفيما هو على هذه الحال اذا بولدين جريا الى الحمار و بلحظة من الزمان سكن خوفه وتحول غضبه الى لعب مضحك. واذ ظن الواقفون هناك ان الاولاد في خطر ركضوا الى صاحب الحمار فقال لهم لا تخافوا ان الحمار لا يمكن ان يضر الاولاد لانه يعرفهم كما يعرفني

وقد لوحظ في ذلك اليوم ان حميراً كثيرة حول جاك كانت

تضر من يقترب اليها من الغرباء ولكنها تظهر اللطف والمحبة لمن كانت تعرفهم سابقاً

فالحمار اذن ما يكفي من القوى لمعرفة اصحابه واصدقائه و يستطيع ان يجد طرقاً للتكلم معهم بدون النهيق العالي الذي به يخاطب غيره من الحمير

﴿ حالة صعبة ﴾

ان الناس في اكثر انحاء انكلترا يسرون كثيراً بالركوب على الحمير . فانك ترى على الرمال عند شاطىء البحر في اوقات الفرصة زرافات من الصبيان والبنات على ظهور الحمير ينشدون الاغاني والحمير ذاتها تتمتع بتلك المسرات اذا لم يكدرها احد من راكبيها او سائقيها فما الحمير الا حيوانات تستطيع ان تلذ بالمزاح والانبساط كما نلتذ نحن وتود ان تشارك الاولاد في مسراتهم . على اننا اذا حصلنا على فرصة نسر بها وجب علينا ان لا نجعلها فرصة شقاء وتعاسة لمخلوقات سلمت لعنايتنا وخدمت لمعاشنا وتعبت لراحتنا

فيظهر ان كثيرين من الناس ينسون احياناً ان تلك الحيوانات خلقت من لحم ودم كما خلقوا هم وان غيرهم من الحيوانات يشعر بالجوع والعطش والتعب نظيرهم

فالذين تهمهم الفرص يهتمون كثيراً بحمل الزاد لانفسهم و يتوقفون

عن السير للراحة والغذاء وهم لا يتذكرون دائماً ان الحصان او الحمار الذي يكلفونه العمل الشاق لخدمتهم يحتاج الى الراحة والطعام كما يحتاجون هم ان لم نقل اكثر منهم كثيراً

ومن اشد الامور قساوة ان يركب شخص ثقيل الجسم حماراً لان معظم ثقل تلك الجثة يكون بالاكثر ملقى على كتفي الحمار اللذين لا تستطيعان حمله

فالمطايا الصغيرة والنحيفة الجسم التي لم يحسن اصحابها علفها ولا سيما ان كانت للاجرة تعجز عن حمل سيدة او رجل بالغ في السن عجزاً تاماً ولا سيما ان كان جسم الراكب ضخماً لانها من ثقله تهتز ركبها وتتلوى

في سيرها بعد ان تظهر في اكثر الاحيان انيناً واطئاً كانه صوت عال تسترحم به معاملتها بالرحمة والحنو على حين انها عاجزة عن ان تعبر عن المها وشكواها بافصح من ذلك

عزمت احدى السيدات يوماً من ايام الفرصة على ان تتنزه وجسمها ثقيل جداً فاستأجرت حماراً كاد يموت جوعاً ولما علت ظهره جعل يتلوى تحتها ويتمايل من جهة الى جهة وهي لم ترث له ولا نزلت عن ظهره لولوعها بركب الحمير واذ عجز ذلك الحمار الصغير عن حمل ذلك الجسم الثقيل سقط وهي لا تزال على ظهره تشد باللجام لتجبر ذلك العاجز على النهوض وهو فوق طاقته فاخذ سائقه المتوحش يضربه ضرباً اليماً بقساوة بربرية قائلاً لا تترجلي ايتها السيدة فاني ارغمه على النهوض وفيما هو على ذلك مرّ بعض النوتية الذين مع ما هم عليه من الخشونة كان لهم قلب ارق من قلب تلك السيدة التي لم تظهر شيئاً من عواطف الجنس اللطيف فقالوا لها ان لم تنزلي عنه تقلبك عن ظهره ولما نزلت تقدموا وساعدوا ذلك الحمار المرتجف المسكين على النهوض

فماذا تظن ايها القارئ العزيز اتصلح هذه السيدة القاسية القلب ان تكون اماً او تستطيع ان تعتني باولاد قاصرين ضعفاء لا مساعد لهم ويمكنك من ذلك ان تتأكد ان ليس لها عواطف ام حقيقية تمكنها من اعالة طفلها الصغير ولا هي صالحة ان تكون ابنة لطيفة بابويها العاجزين المريضين

قال شكسبير الشاعر الانكليزي الشهير «ان الناس الذين قسوا على البشر لا بد من انهم قد ابتدأوا يقسون على القطط والكلاب»

حوكم رجل انكليزي من عهد ليس ببعيد على جناية قتل ارتكبها بدون شفقة. وعند محاكمته قيل انه كان قاسياً على الحيوانات وهو صبي وكثيراً ما كان استاذه يوبخه وينصحه بلا جدوى

﴿ سامي الحمار الذي نال الجائزة ﴾

من اشد الامور حزناً على الحمار انما هو اضطراره في بعض الاحيان الى تغيير اصحابه ولا نعلم ماذا تكون افكاره حين يباع بدون ذنب اقترفه وينقل من صاحب حنون الى صاحب ظالم قاس

ففي المدن الكبيرة على شاطئ البحر يتقضى على الحمير نصف ستها بهناء ونعيم ففي زمن الصيف حين يتجمع الزائرون زرافات لمشاهدة امواج البحر الزرقاء يعتنون بسياسة حميرهم ويجودون عليها بالطعام الجيد ويكسونها بالبرادع المتقنة والارحلة البيضاء ويغطونها من البرد والثلج وفي هذا الوقت يكون شغلها خفيفاً لا يتجاوز حمل الاولاد للتنزه او جر دولاب عليه كرسي فيه مريض او عاجز. ولكن حين يقدم فصل الشتاء وتتفرق الزوار تصادف الحمير حينئذ تغييراً محزناً جداً فانها اما ان تباع او تستخدم للاجرة وتقع بين ايدي اناس فقراء جداً يسيئون معاملتها ويجبرونها على جر الفحم والحطب او غيرها من السلع الثقيلة في شوارع

المدينة وهذا النصيب الشاق لا يصيبها الا متى تقدمت في السن وفقدت قواها البدنية وجمال منظرها فهل من عجب ان اظهرت هذه الحمير احياناً عناداً وكسلاً وهي في مثل هذه الحال فان الحكيم العاقل من البشر يعلم من نفسه ان كل واحد يلتمس تحسين احواله . فمن من البشر يستطيع ان يتحمل هذه المصائب بخلق رضي وسرور . فكم بالحري البهيمة التي طرأت عليها هذه التغييرات بسرعة مع ما هو عليه من قلة الاختبار . فتنتج ضرورة ان كل من سلمت الى عهدته المحافظة على البهائم ان يعتني بها وعلى كل من حصل مالاً من تعبها ان يعلم انه ليس من باب العدل والانصاف ان يهملها وقت عجزها و يسيئ معاملتها ويتيقن ان الحمير تتألم بافكارها كما تتألم باجسادها بانتقالها من تحت يد من تحب الى يد غريب

فالحمار الجميل سامي الذي تقدم ذكره كان السابق في معرض الحمير في مدينة برستول فربح جنيهين جائزة ومع ذلك بقي يساعد صاحبته على تحصيل معاشها بجر عربتها الصغيرة لجمع الخرق البالية والعظام من بيت الى بيت

فلما سمعت احدى السيدات في مدينة كالفتن بخبر سامي بعثت برسالة مع خادمها الى المخزن حيث تبيع صاحبته الفحم الحجري تقول لها انها تحب الحمير كثيراً وانها ترغب في ان تشتري ما تحتاج اليه من الفحم من مخزنها اكراماً لحمارها سامي لانها كانت تحن عليه وترفق به . وفي

الصباح الثاني ظهر سامي امام بيت تلك السيدة جاراً عجلته الصغيرة . فقالت صاحبته للسيدة هذا حماري سامي الذي ربيته واعتنيت به منذ ولادته وكنت قد اعتنيت بامه من قبله ومن حين وجوده للآن لم تمسه عصا ولا شعر بضربة على الاطلاق وكان فراشه من العشب الناعم وكان في كل صباح يساس احسن سياسة . ثم التفتت الى سامي وقالت له ان يصافحها باليد فناولها حالاً يده الاولى ثم يده الثانية وبعد هذا قبلها باخراج لسانه ولحس وجهها فاعطته قطعة خبز مكافأة على ادبه وفهمه وحينئذ بارح المكان مسروراً كما اتاه مرتضياً

فكل انسان يؤمل ان صاحبة سامي القديمة اللطيفة ستحافظ على صداقته ما دام حياً ولا يمكن ان تسلمه الى يد غريبة ما دامت في قيد الحياة

﴿ الحمار النبيه ﴾

ما من غلط افظع من وصف الحمار بالحيوان البليد لانه ان عومل معاملة سيئة وقع في اليأس واصبح بلا نباهة . وان عومل حسناً كان احسن البهائم ذكاء وسروراً

قيل ان حماراً خلص حياة ملك من ملوك سيام القدماء بان ايقظه من نومه في حين كان على وشك ان يقتله المتآمرون عليه . فشكراً لجميله هذا امر الناس بان يعدوا كلمة حمار من القاب الشرف . وذلك شرف

فازت به الحمير وليس لها ادراك كاف يبعثها الى ان تهنئ انفسها بهذه الرفعة كالمخلوقات البشرية على ان الحمير احكم من كثيرين من بني البشر

حكي انه في اذار عام ١٨١٦ وضع حمار اسمه ڤالنت على ظهر سفينة راسية عند جبل طارق وفي سفرها الى جزيرة مالطة اصطدمت في شاطئ رملي قرب رأس غاتا واذ خشي عليها من الغرق التام تلطف شخص وحل الحمار من رباطه والقاه من على ظهر السفينة الى البحر ليسبح وينجو بحياته وكان البحر وقتئذ هائجاً هيجاناً شديداً حتى ان القارب الذي ترك السفينة غرق فظن القوم انه ما من حيوان يقدر ان يصادم تلك الامواج ويبلغ الشاطئ . وبعد ذلك بايام قليلة عجب اصحابه القدماء في جبل طارق من ان رأوه على احدى بوابات المدينة . ولما ادخلوه سار تواً الى اسطبله القديم

﴿ ذاكرة قوية ﴾

للحمار ذاكرة قوية فلا ينسى احساناً يحسن به اليه ولا يسهل عليه محو اساءة اصابته فلا تحسبنه مجرد آلة للعمل عديمة الحس والشعور

كان لاحد الناس حمار محبوب جداً سمح له ان يجري في بستان بشرط ان لا يدنو من الازهار وسائر الاغراس والخضروات بل يلازم الطرق والممرات ولكنه خالف هذا الشرط فعاقبه صاحب البستان وفهم الحمار ان لولا اثر حوافره لم يعلم احد بذنبه فاخذ من ذلك الوقت فصاعداً

يمحو آثار حوافره كلما اقترب من الزرع لكيلا يعلم احد بما يرعاه منها ولا يعرض بنفسه الى العقوبة مرة ثانية

فاذا درسنا طبائع الحيوانات درساً مدققاً رأينا انها لا تختلف عن البشر بالمشاعر الطبيعية اختلافاً يحملنا على القول بانها بعيدة عن ادراك القاعدة الذهبية القائلة «كما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم ايضاً بهم هكذا»

قال المستر استرن الراوائي الشهير «انا لا اقدر ان اضرب الحمار لان في منظره وتصرفه من الصبر والخضوع ما يشفع ويردني عن ضربه وحالته تحملني على ان لا اتكلم معه بخشونة او فظاظة واني اشعر في كل موضع اراه فيه ان في نفسي ما يدفعني الى اللطف به»

﴿ الحيوان في الكتب الدينية ﴾

فيا ايها القارئ الكريم ان كنت اسرائيلياً او مسيحياً فدينك يأمرك برحمة الحيوان والرفق به تأمل في الوصية الرابعة تجد ان الله تعالى كما امرك بالراحة وترك العمل يوم السبت امرك ايضاً بالراحة عبدك وبهيمتك وقال النبي سليمان «الصديق يراعي نفس بهيمته اما مراحم الاشرار فقاسية» (خر ٢٠: ١٠ وام ١٢: ١٠) اما اذا كنت مسلماً ففي الاحاديث المحمدية اوامر كثيرة بالرفق في البهائم وزواجر شديدة عن القساوة عليها حتى قال «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم

تدعها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت» كما رواه البخاري وغيره وقال «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ويرحم البهائم فلا يكلفها ما لا تطيق» وقال «بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فملأ خفه ماء ثم امسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له قالوا يا رسول الله ان لنا في البهائم لاجراً قال في كل ذات كبد رطبة اجر» حتى نهى عن شتم البهائم وسبها

﴿ الشيخوخة الطيبة ﴾

ان الامراض التي تستولي على الحمير قليلة جداً لانها من البهائم القوية البنية وبما انها ارخص من الخيل كثيراً كانت اكثر موافقة للفقير. فاذا اعتني بالحمار حسناً عاش وعمل اربعين سنة وخمسين

ومما يجب ذكره هنا الحذر من ان يعرض الحمار للبرد القارس فمن اخرجه من مأواه في الليالي الباردة فقد اتى افظع انواع القساوة ويقدر الانسان ان يعلم بجهة قدوم الريح العاصفة من مجرد نظره الى الحمار الذي في غير مأوى فانه يستدبر الريح دائماً

﴿ الطرد للموت جوعاً ﴾

ان من زار الاكام الرملية المتاخمة بعض اراضي فرنسا الفلمنكية رأى

فريقاً من الانكليز بين تلك الربى القاحلة الممتدة على مدى البصر وليس فيها سوى بقع قليلة عليها شيء من الشجيرات يتخللها بعض ازهار صفراء ترصع تلك الفسحة الجرداء. وليس على تلك التلال من الآثار البشرية الا قليل من قبعات صيادي السمك ومع ان هذه الكثب مهجورة وخالية من الاعشاب اصبحت مأوى ومطعم الحمير التعيسة التي كانت تحصل معاش اصحابها بنقلها الرمال من تلك الكثب الى البلاد المجاورة. وما كانوا يكتفون بذلك بل كانوا يكلفون حميرهم التي كادت تموت جوعاً وقت الصيف اتعاب حمل المسافرين ويرغمونها على نقلهم الى الشواطىء ويزجرونها باصواتهم الخشنة ويضربونها كثيراً

فاحد هذه الحمير التعيسة قاسى من شقاء هذه الحياة زماناً طويلاً ما انهك قواه وجعل جسمه كيساً لعظامه. فكان ينهق على قارعة الطريق التي تدوسها المارة بلا انقطاع مسترحماً شفقتهم بهيئة تفتت الاكباد

وكان علاوة على كل ما به من الاتعاب والاوجاع يزدحم الذباب على جراحه الكثيرة التي على ظهره وجوانبه

ولا ريب في انه كان حين يعمل يعرج من المه احياناً. ولا يرثي له صاحبه وكثيراً ما نرى غيره من الحمير تعرج تحت الاحمال الثقيلة فيكلفها اصحابها بما لا طاقة لها عليه كأن قلوبهم قدت من الصخور الصماء. ولما كل هذا التعيس عن العمل طرده صاحبه الى تلك التلال الرملية حتى يشفى او يموت

وكان من جملة من وقفوا حول ذلك المخلوق التعيس احدى اعضاء الجمعية الملكية التي غايتها منع القساوة عن الحيوانات او الرفق بها ولا ريب في انها لم تترك ذلك المتألم الا بعد ان اتت كل ما قدرت عليه لتحسين حاله وتخفيف الامه وعدت ذلك العمل من مسرات ذلك النهار وقالت لرفيقها المسكين «الوداع» ثم توجهت الى اقرب مكان حيث تقدر ان تحصل شيئاً من العلف والماء لذلك الحيوان المريض . ولما وصلت الى اول دكان في اقرب قرية وطلبت مقداراً من الخبز الاسود لتقيت بها حماراً عجبت امرأة الخباز كل العجب من تلك السيدة لظنها ان الانكليز شعب مضحك بلا ريب لانهم يهتمون ببهائم غيرهم وقالت «اذا كان هذا الحمار ليس لها فلماذا تطعمه» على ان تلك السيدة التي ملأ قلبها الحنان لم تبال الا بانجاز ما قصدت انجازه فاستعارت سلة للخبز واناء فيه قليل من الماء وحملتها راجعة الى صديقها المريض

وكان الغسق قد خيم في ذلك الوقت واصبح الفرق عظيماً بين ما يقطع الانسان تلك البرية المقفرة وحده مستنيراً بنور الشفق و بين ما يقطعها مع فريق من الاصدقاء في ضوء الشمس المبهج غير ان تلك السيدة داست ما حال دونها من المخاوف بفقد الطريق وسارت بشجاعة وحماس وسرعة

ولما وصلت الى ذلك الحيوان المسكين وسقته تلك الجرعة من الماء البارد الجديد نظر اليها نظرة الشاكر وعدتها احسن مكافأة على اتعابها

لانه طالما تشوق الى تلك الجرعة التي لم يقدر لوهنه ان ينالها بنفسه ثم مضغ ما اتته به من الخبز الاسمر الحلو الذي كان افخر طعام بعد ذلك الصيام الطويل في تلك الارض القفراء

زرع بذور الرحمة

ولما بزغ صبح الغد سمع ذلك الحمار البائس وقع قدمي صديقته الحلو الذي ذكره بتعذيب اصحابه القدماء فطردت تلك السيدة اللطيفة الذباب عن جراحه واخذت تدهنها بزيت على ريشة ناعمة واتت غير ذلك مما خفف شيئاً من آلام جراحه ووقاها من الهواء والهوام

فاستمرت هذه الممرضة الصالحة نحو اسبوع تزور مريضها الذليل بين ذاك الثرى الرملي القاحل وكانت دائماً تجلب له الحبوب والزيت والماء مع شيء من الجزر او غيره من الاعشاب الخضراء .ومع كل ذلك كانت في خوف شديد من صاحب ذلك الحمار الظالم الذي كان يكمن لها اما ليوقع بها الشر او ليلومها على ما عملته

فلما كانت تلك البقعة منفردة عن الناس حذرها جيرانه منه وقالوا لها انه بالغ الشر وانخبث الغاية القصوى وسوء معاملته لحماره المسكين اعظم برهان على ذلك

لكنها لم تبال بالمخاوف التي كانت تتهدد حياتها ولم تثنها عن عزمها ومما كان يزعجها كثيراً تفكيرها في انها ستبارح ذلك المكان

وتفارق اليفها التعيس الذي اودع لعنايتها ولا تعلم بما سيكون من امره فهذا حرمها النوم في احدى الليالي اذ سمعت وهي تتقلب على فراشها هدير الرياح وهطل الامطار وما زاد في ارقها تصورها الصعوبة التي يقاسيها ذلك المنفي التعيس المطروح بلا ملجأ يقيه في مثل تلك الليلة العاصفة و بين هاتيك الاكام الجرداء

فلما اصبح الصباح رأت ان العواصف لا تزال على ثورانها فلبست مشمعاً واسرعت تطلب ذلك المسكين ولما بلغت المكان المعهود لم تقف له على اثر فبذلت وسعها في التفتيش عنه في تلك القفار وكانت في كل دقيقة تتخيل انها ترى اذنيه بارزتين من خلف محل التجأ اليه وموجهتين نحوها تحييانها كالسابق. وفي كل محل سارت اليه كانت تتصور عن بعد انه لاح لها بشكل كبير بسبب الضباب ولكن عند اقترابها كانت تجد خلاف ما تصورته. و بعد ان فتشت عنه عدة ساعات وجدته ميتاً في حفرة بين تلتين

فعادت تلك السيدة اللطيفة الى بيتها وهي تعزي نفسها بقولها ان الله اراحه من عناء هذه الحياة وتعاستها. ولكنها لم تنقطع عن مساعيها الخيرية حتى زرعت بذور الرحمة في قلوب ذلك الشعب الظالم القاسية و بذلت غاية جهدها في ان تجعلهم يتحققون فظاعة تلك الاعمال البربرية. و بعد سنين من ذلك رأت قبل ان لفظت روحها لتنال جزاء حسناتها اثمار قدوتها وفضل كلامها وهي حسن معاملة الحيوانات التي كانت تحبها

﴿ تاميحات لاصحاب الحمير ﴾

اذا استخدمت الحمير في المزرعة كان كل حمارين بمثابة حصان واحد ونفقتهما اقل كثيراً لان الحمير تتغذى بطعام يرفضه الحصان ويحتقره وعوضاً عن اسطبلات الخيل الكثيرة النفقة واطعمتها الثمينة يسر الحمار بكوخ حقير يقيه من العوارض الجوية ويكتفي بان يأكل من البقول المرة ما تأباه الخيل

ومن الغريب ان الناس يحرقون ما يقلعونه من الاعشاب في حقولهم مع تأدية الاجور لقالعيها فهذه الاعشاب لو حملوها الى بيوتهم لكادت ان تكون كافية لحميرهم علفاً

ففي جر عجلات البقول او في الفلاحة الخفيفة مثل فتح حفر لزرع الملفوف والكرنب او في نقل الاحمال الصغيرة الى المطحنة او الى السوق نرى الحمير تعمل كالخيل ولكن بنصف النفقة. غير ان العجلات التي تجرها الحمير يجب ان تكون دائماً خفيفة ما امكن حتى لا تفقد قوتها ويجب ان تكون عدتها محكمة توافقها جيداً وبيطرتها متقنة كبيطرة مهر صغير

وتظهر حكمة الحمار حين يجر عربة او يحمل حملاً ويصعد بها على تلة فانه يخترع طريقة تخفف المشقة عليه. فانه عوضاً عن ان يصعد على خط مستقيم تراه يتعرج في سيره ذات اليمين وذات الشمال ليسهل

الصعود عليه. فاذا افتكر الانسان في هذا علم انه ناتج من شعور بتدبير الطرق لتوفير الاتعاب دون مداخلة احد غيره فالحمار اذن يواظب على العمل بجد وان كان بطيئاً

ومن المؤكد انه ما دام ينجز عمله جيداً فهو احسن دليل على تحسين عمله ولا نرى شيئاً اصوب من ان نتركه يرضي نفسه بنفسه. فيحسن بائقه او صاحبه ان يريحه جيداً في كل حال ولا سيما عند

جره الاثقال صعوداً بوضعه حجراً خلف العجلة

فيا ايها السائق الكريم اعلم ان الحمار يكون شاكراً لك ان وقفته قليلاً عن طحن الطريق القاسية بحوافره الرقيقة وسمحت له بفرصة بضع دقائق للتنفس وحينئذ يحسن بك ان تقدم له شيئاً من الملاطفة والمديح او تطعمه ان امكن تفاحة او قطعة خبز من جيبك. فانه يفهم ان عملك هذا دليل محبتك ولطفك فيقوده الى طاعتك ومساعدتك لتوفير ارباحك. ودليل فهمه انك تراه يرفع اذنيه لتحيتك ويظهر لك ابتهاجه بصنيعك هذا. ثم تراه بعد ذلك يعود الى العمل مسروراً فمثل هذه المكافأة الطفيفة على اتعابه الكثيرة افضل لك وله من الضرب

فانقش على لوح ذاكرتك ما لا تمحوه كرور الايام ان كل كلمة لطيفة تتكلم بها وكل عمل لطيف تجريه لا تحسن بذلك احوال البهيمة او الانسان الذي تعامله فقط بل تحسن احوالك انت ايضاً وتربي فيك عواطف شريفة

فاذا كان لك حمار فلا تلاطفه يوماً وتظلمه آخر لانه لا يفهم هذا الاختلاف بالمعاملة فاذا ابتدأت بحسن معاملته فلا تمل من التحسين حتى لا يمل من تحسين العمل لانه يرتاب في مثل هذا اللطف المتقطع المتغير فلا تناوله اليوم ثمرة يلتذ بها وغداً رفسة يكرهها. فلو عوملنا نحن بمثل هذه المعاملة فماذا تكون انفعالاتنا بهذه الاجراءات المتغيرة غير الموثوق بها. فاذا كان الانسان عاجزاً عن الحكم على طبعه اصبح بحكم

الضرورة عاجزاً عن سياسة البهائم وغير اهل لاستخدامها . فاستعماله كلمة لطيفة لبهيمة لا تكلفه شيئاً ولكن البهيمة تستثمنها جداً. فان لم يقدر على ان يكلمها بكلام لطيف يقدر على الاقل ان لا يكلمها بكلام فظ لان البهيمة تعرف من مجرد صوته انه يقصد مقصداً رديئاً كما نعرف نحن

فمن القساوة الفظيعة ان يتعب الحمار صاحبه وهو نازل بحمل ثقيل من مرتفع او نجد و يستحثه للجري بسرعة ولا سيما ان كان جارّاً عربة لانه من الجلي ان مؤخره ليس قوياً بالنسبة الى بقية اعضاء جسمه كالحصان فاذا سيق بعنف ربما زلق وفقد كل قوته وانا يخيفه و يضره شعوره بان ثقل حمله ملقى على مؤخره الضعيف وهو يساق سوقاً فوق طاقته

هذا وان سوء المعاملة لا تضر باعضاء جسده فقط بل تضره في فمه النحيف الحساس وعليه لا يجوز ان يشد لجامه. ولا يسوغ ان توضع شكيمة اللجام في فمه وهي باردة لان افواه الحيوانات تتضرر كثيراً بوضع الحديد البارد فيها

فكل منا يعلم علم اليقين ان بقاء كتلة من المعدن البارد في افواهنا تؤلمنا وعليه وجب علينا ان لا نضعها باردة في افواه لا تتكلم وتدافع عن انفسها . فيسهل والحالة هذه على من يلجم حيواناً ان يسخن الشكيمة بقليل من الماء الحار أو باحمائها قليلاً على النار او بوضعها في اليد او في الجيب بضع دقائق قبل ادخالها في فمه

﴿ عادة جائرة ﴾

من العوائد القاسية التي انتشرت في اكثر الانحاء ربط يدي البهيمة قبل اطلاقها لترعى ربطاً يسمونه تقييداً ليمنعوها عن ان تشرد فيضطر هذا الحيوان المسكين الى الوثب الذي يزيده تعباً وضرراً

وحين قدوم الصباح التالي الذي به تضطر الى استئناف العمل وتحل ايديها من ذلك الرباط تظهر بمشهد يفتت الاكباد لما اعتراها من تيبس عضلاتها واعتقالها وارتخاء مفاصلها فتساق بهذه الحالة الى العمل الشاق وهي شاعرة بانتهاك قواها بدلاً من شعورها بتجديدها

ففي المحلات التي لا يقدر الحمار ان يضر بالاملاك لا حاجة الى ربطه لان صاحبه اذا احسن معاملته اتى اليه مثل الكلب حين يناديه ولكن اذا رأى ربطه ضرورياً وجب ان يعمل له طوقاً مناسباً ويربطه بحبل ويحرر قوائمه من العقال

فاذا ربطه بحبل طويل وتركه يرعى وجب الاهتمام بتغيير دائرة مرعاه الضيقة مراراً لينال ما يكفيه والا مات جوعاً وعينه ترى خصب المرعى من بعيد . فخير لاصحاب الحيوانات ان يهيئوا لها مزارع تقتات بها جيداً ويبنوا لها مآوي تقيها من المطر والريح

واذا اجهدوها بالاثقال التي لا تقدر قوائمها على حملها أدى بها ذلك الى العرج وجعلها غير صالحة للعمل . فعليهم والحالة هذه ان يعاملوها

معاملة الخدم ويحافظوا على صحتها من حيث المأكل والمأوى بنفقة قليلة مع الحكمة والرفق . وليعلم كل منا ان الحيوانات الدنيا تعتمد علينا وتثق بنا متى عاملناها بالعدل

فخالق هذه الحيوانات اعطى الانسان حاسة العدل الذي يرشده الى سواء السبيل حين يسلمه سبحانه العناية بالحيوانات البكم التي لا معين لها سواه . فان لم نعطها حقها من الطعام الكافي والمعاملة الحسنة كاجرة لاتعابها كنا من القوم الظالمين اذ بذلك نكون قد اظهرنا ظلمنا وجبانتنا ايضاً لانها تحت سلطتنا ولا معين لها

فلا يتوقع البشر معاملتهم بالعدل والرحمة ان لم يرغبوا في اجرائهما ليس لاخوتهم بني البشر فقط بل لسائر المخلوقات التي تحت سلطتهم . فخالقها هو خالقنا ايضاً . فاذا كنا لانظهر لها شيئاً من الرحمة فلا أمل لنا بالحصول على الرحمة التي نفتقر اليها اذا طلبناها منه تعالى

﴿ مساعدة حمار اعرج ﴾

حكت احدى السيدات الفاضلات نبأ مساعدتها حماراً مسكيناً اصيب بالعرج من سوء معاملة صاحبه الذي ظالمه بربط بعض قوائمه ببعض . فقالت انها رأته واقفاً ساكناً بجانب جبل وحده وهو على جانب عظيم من الضعف . ومع انها ابدت في اقترابها اليه صوتاً يستدعي الالتفات فلم يتحرك لان يديه ورجليه مربوطة ربطاً شديداً على جانب

واحد بحبل قوي حتى لا يشرد الى محل بعيد . وعرفت انه لما ربط اولاً ما قدر على الانتقال من مكانه الا بواسطة الوثوب ولا بد من انه تكرر ربطه منذ شهور مضت لان ذلك الرباط قد خرق الشعر والجلد وغرق في اللحم

ولسعد طالع ذلك الحمار كان مع تلك السيدة مبراة فقطعت بها الحبل من ساق واحدة غير ان الحبل على تكرار الربط قد برى اللحم وغرق به حتى تعذر اخراجه بسبب اللحم المتورم . فاضطرت الى ان تتركه ولم تقدر ان تريحه ولو من نصف تعاسته

ولما وصلت الى بيتها تلك الليلة ما قدرت تنسى ذلك الحيوان التعيس المسكين المتروك باوجاعه وحده بلا ملجأ ولا معين

وفي الصباح التالي هرعت اليه بقليل من النسالة والمرهم والربائط فتراى لها انه يراقب قدومها لانها رأت اذنيه وهي تتسلق جانب الجبل المعرض للأرياح البازدة مرفوعتين ليسمع خطواتها . ولما وصلت اليه رأته رابضاً ورباطاته محلولة ففتحت رزمتها وضمدت جراحه ولفت النسالة على قوائمه . ثم حاولت اخراج الحبل ثانية ولكن بدون جدوى . وقد اظهر لها فرط شكره من بعض حركات خفيفة غير ان عينيه الضعيفتين الغارقتين قد فقدتا كثيراً من قوة التعبير المرغوب لضعفه واعيائه

و بعد مرور ايام قليلة اتت هذه السيدة الفاضلة الحنونة برجل فاضل كان شديد الولوع بالبهائم ليعود ذلك الحمار الذي كان في بقعة

يجاورها كوخ تسكنه عجوز مع صغيرها جورج الفتى الذي كان على جانب عظيم من اللطف وتهذيب الاخلاق ولما رأياه طلبا مساعدته فلبى طلبهما بوافر السرور وحمل دلواً من الماء لغسل جراح ذلك الحمار الذي لما وصل اليه اصحابه الثلاثة اظهر ما دل على انه يتوقع اجراء شيء ينفعه فرفع اذنيه الكبيرتين بلهفة عظيمة وتحسن منظره غير ان الحبل لا يزال غارقاً في لحم ساقه واخراجه هو العملية التي يفتقر اليها . وكان كلما حاول الخواجا ان يمسك ساقه حاول الحمار الموجوع ان يلبط من شدة الالم ومع ذلك تأكد الرجل انه بذراعه القوية وقلبه الرقيق يمكن من ان يجري اموراً كثيرة تنفع ذلك المسكين . فقال لجورج « امسك رأس الحمار بقوة » وباسرع من لمح البصر قبض على الساق المتورم وادخل المقص بلطف وعزم ثابت بين اللحم المتدمي والحبل وبجلجة واحدة قطع الرباط المؤلم ووضع هؤلاء الممرضون الثلاثة ذلك الساق المألوم في الماء البارد فنفر الحمار في بادئ الامر ولكنه بعد برهة يسيرة مد ساقه بسهولة لشعوره بالراحة في ذلك

ثم ذهب جورج وأتى بدلو آخر من ماء النبع البارد وبحال وصوله وضع ذلك الحمار الحساس ساقه في الماء بكل سرور وسهولة ثم لفوا جرحه بالنسالة والمرهم وتركوه بسلام . فكانت نتيجة الامر ان وجه ذلك الحمار الذي كان يزداد كلوحاً وضعفاً واكماداً من ألم لا يرجى شفاؤه اصبح بهيئة مرضية تدل على راحة ومسرة فانه بعد ان استمر زمناً

يتوقع مساعدة لا يرجى نيلها امسى تحت عناية جورج اللطيف الذي احسن معاملته حتى شوهد يعدو على العشب حماراً جميلاً حديث السن خالي البال من كل هم وكان يربع احياناً ليزور الكوخ ويجري ملاقاة جورج كلما رآه قادماً

فما من حيوان يود ان يعيش منفرداً بنفسه ان لم يكن مريضاً أو فيه خلل طبيعي لان الالفة من اللوازم الطبيعية الصحية لكل حيوان . ومن المعلوم ان اشد العقابات التي تصيب الانسان هي حبسه وحده حتى ان كثيرين من المسجونين الذين اختبروا ذلك فضلوا الموت على السجن

فاذا كان الانفراد وقتاً طويلاً مكروهاً عند الرجل والمرأة فكم بالحري يكون مكروهاً ومخيفاً عند ولد او بهيمة لا معين لها . فأي طير مسكين حصر في قفص أو اي حيوان حجب عن اصدقائه ولم تظهر عليه امارات التعاسة والكآبة فان اكثر البهائم والطيور ميالة بالطبع الى الالفة ان لم تكن مخلوقة لتعيش ازواجاً فالخيل والحمير تتحسن صحتها وطباعها ان كان لها اصدقاء من ذوات الاربع في اسطبلاتها ومراعيها ولو كانت من الكلاب أو القطط

قيل ان حماراً اسمه تجاكوب استأجره احد الخواجات ليعمل في مزرعته ففي ذات يوم ارسله ليرعى في حمى مع بقرة وحصان فاظهر سروراً عظيماً بعشرتهما وعد ذلك حياة جديدة مع ان هذين الرفيقين

كانا يقاسمانه ما احتكره من المرعى في ذلك المرج . ولم يلبث طويلاً حتى رأى صاحب المزرعة افتقار البقرة الى مرعى جديد فنقلها اليه ثم رأى وجوب قتل الحصان لتقدمه في السن وعجزه عن العمل وفقدانه لذة الحياة فقتله باطلاق الرصاص فبقي الحمار وحده نائحاً عليهما لان حياة الانفراد لم توافق ذوقه فاظهر بما دل على انه يود الرجوع الى مسكنه القديم في القرية المجاورة لانه بلا ريب تذكر ان له فيه بعض الرفقاء القدماء من الناس وغيرهم من البهائم في حقول تلك القرية

فبعد ان اجرى حيلاً كثيرة تمكن من فتح بوابة تلك الحظيرة وخرج منها . ثم بقي عليه فتح بوابتين آخريين قبل ان يصل الى القرية فدبر بمهارته ما مكنه من فتحهما . ولم يلبث مدة طويلة حتى رأوه في منزل صاحبه القديم. وفي الصباح التالي ارجعوه الى تلك الحظيرة واقفلوا البوابات بكل احكام . ولكنه في اليوم الثاني عاد فظهر في القرية ايضاً وحيا صاحبه ثانية . فظهر من عمله هذا لدى العموم ان الحمار جاكوب ابى ان يعيش وحده . فجزاء له على تصرفه اللطيف سمحوا له ببقرة ترافقه في المستقبل فسر بعشرتها والمكث معها

حكي ان احد بائعي الفاكهة اقتنى حماراً وكلباً كانا على جانب عظيم من الالفة والصداقة فاحسن معاملتهما بالرفق والحنو وكان كلما دعي الى بيت لابتياع البقول والاثمار يقف الحمار هناك دون ان يأمره احد . ورفيقه الكلب المسمى تجاك يثب على ظهره حالاً ويلبث حارساً ما في

العجلة من البقول والاثمار . وبحال ما يرى هذان الخادمان الامينان صاحبهما راجعاً ينزل الكلب والحمار يسير الى الباب الثاني حيث يضطر الى الوقوف ثانية . فهؤلاء العملة الثلاثة المتحدون معاً لتحصيل معاشهم حين يسيرون في اي شارع كان يمثلون صورة جميلة تبين كيفية استخدام البهائم الدائم بالرفق واللين دون ادنى اساءة

﴿ صديقان في الثلج ﴾

مع ان البهائم تحب عشرة بعضها بعضاً كثيراً نرى ان البهائم البيتية الاليفة غير الكلب والهر ترغب في ان تتخذ لها اصدقاء من البشر بدلاً من البهائم . فما من حيوان طبعه الانسان وجعله اليفاً الا ورأيناه راغباً في ان يؤدي لمربيه صداقة مخلصة وخدمة صادقة

فلو اعتبر الرجال والنساء محبة هذه البهائم التي تساعدهم على العمل لزادوا في سعادتهم وسعادة بهائمهم وزد على ذلك ان شدة تعلق البهائم باصحابها تسر وتكون في الغالب وسيلة لانقاذ حياتهم من الخطر

ومن الامور التي تتداولها السنة العموم ان الكلب الاصيل كثيراً ما انقذ حياة صديقه الانسان من الهلاك وندر ان نسمع ان حماراً خلص حياة وما علة ذلك الا الظن بان الحمار المسكين لا يستحق بان يدعي صديقاً مع انه قد ورد في بعض الحكايات التي لا ريب بصحتها ما اوضح باجلى بيان ان الحمار قادر ان يكون صادقاً كالكلب

حكي ان شيخاً اسمه توما برون كان يجول في شمالي انكلترا لبيع الادوات وكان يسير بجانب حماره الذي يحمل بضاعته وربما كانا يتحدثان معاً بما هو مألوف عندهما وكانا رفيقين في كثير من الاعمال التجارية الشاقة واذ كان هذا التاجر العاجز يعرج لضعفه كان الحمار يساعده كثيراً في سيره مع ان الشيخ لم يعل متنه شفقة عليه بل كان يتمسك بحياصته او يتثبت بذنبه وكان الحمار يسر بشعوره ان يد صاحبه ماسكة به ويتباهى بكونه مساعداً له . وفيما هما سائران في احد ايام الشتاء الباردة سقط الثلج بكثرة . وقبل ان يتمكنا من اتخاذ ملجاء غرقا في كومة ثلج عميقة قذفتها ريح شديدة وطمرتهما وهناك مكثا مدة طويلة بعيدين عن كل مساعدة وخطر الهلاك يتهددهما واخيراً نشل الحمار نفسه بعد جهاد عنيف ولكنه لم يترك تلك البقعة التي لم يزل صاحبه مدفوناً فيها . واذ لم يره بجانبه وقف واخذ يتأمل في ذلك الثلج المقذوف برهة كأنه متشوق ان يرى رفيقه خارجاً كما خرج هو . وبعد مضي وقت قصير وصفيحة الثلج باقية غير مخروقة دبر الحيوان الحكيم المحب طريقة لانقاذ صاحبه فخرق كومة الثلج حيث صاحبه ملقى ولما رآه دار له ذنبه بطريقة تسهل على ذلك الشيخ المدنف التمسك به فتشبث توما بذلك الذنب ما استطاع فسحبه الحمار الامين واقتاده الى اقرب مضيف ينفعه

فكيف كان الحال مع توما برون يا ترى لو اكتفى الحمار بنجاته

وعمل ما عمله تسعة اعشار الناس من حب الذات واظهر شكره لتخلصه من سائقه. غير ان هذا الحمار لم يستطع لامانته ومروءته ان يترك صاحبه في خطر الهلاك لانه قد رآه رفيقاً وديعاً وصديقاً مكرماً

فلو خير الناس والحيوانات في الاعمال وتحرروا من المسؤولية لاتاهم وقت قل به تعبهم واغتنموا فرص الراحة في اعمالهم واقتصروا في

حياتهم على الاعتدال في الاعمال وعاشوا عمراً طويلاً بسلام ورحبوا بموت هادئ خال من الآلام. ولكن من اشد صفحات تاريخ حياة البهائم حزناً انما هي الصفحات الاخيرة فانها حين تضعف وتشيخ وتصاب بالعلل وتقل صلاحيتها للتعب تباع هذه المسكينة غالباً بليرات قليلة او بشلينات فيصبح حظها تعيساً فعلاً لان الناس القساة القلوب الذين يشترون ويبيعون هؤلاء الخدم الامينة العاجزة حين تكون في اشد الاحتياج الى العناية بها واراحتها لا يدركون انها مثل غيرها من المخلوقات الطاعنة في السن التي اعياها التعب واستولى عليها الضعف ولم يبق لها في الحياة الا الآلام والاوجاع

كان رجل مسكين اسمه رندل يقوم بمعاش عياله ببيعه الفحم الحجري في احد شوارع مدينة كبيرة وكان حماره الجميل المسمى ندي يجر عربته الصغيرة. فلقي احد الافاضل رندل ولم يكن رفيقه معه فسأله اين حمارك ندي. اجاب بحزن شديد «انني قتلته ياسيدي. فانه قد اشتغل جيداً مدة تسع وعشرين سنة ولكنه قد فقد اضراسه وعجز عن العمل وقد طلب شراءه غير واحد لكن زوجتي ابت بيعه خوفاً من عذابه بعد ان قضى كل تلك السنين عندنا يعامل بألطف معاملة ويخدم احسن خدمة»

فقال له الرجل احسنتما ايها الزوجان فاني اتمنى ان تكثر امثالكما للرفق بالحيوانات البكم. فان حماركما ندي صرف حياة سعيدة جديرة

بالثناء واستحق موتاً سريعاً خلا من الالم والعذاب

وكان هـذا الحمار ندي عند فراغه من العمل يجتاز البيت كل مساء قبل دخوله الاسطبل ويمر بالمطبخ لنيل بعض الكسر التي كانت تتوفر لغذائه. ففي ذات يوم حله صاحبه ليرعى في قطعـة ارض حيث كان صاحبه ينفض طنفسة فسر الحمار بان يشبع من العشب الطري وان يحصل على فرصة يلعب بهـا فكان مستعداً لمداعبة اي شخص مر بذلك الحقل فهرع قفزاً كجرو الهر الى رجل طاعن في السن لم يعلم من حالة ندي وطريقة لعبه شيئاً فاضطر الى ان ينسل الى خلف شجرة

فما كان من ندي الا انه دار عنه وهو يلبط برجليه كأنه يقول «اذاً ساجد شخصاً آخر اداعبه» ثم استمر في هربه الى ان دخل في وسط مدرسة للصبيان الذين اطلق سبيلهم ليلعبوا نظيره ولما سئل صاحبه كيف امكن لحمار متقدم في السن ان يبقى مستعداً للعب. فكان جوابه «انه لم يكسر قلبه على الاطلاق»

فيا ايهـا الصبيان والبنات انتم مملوؤن حيـاة وصحة وابتهاجاً والشيخوخة بعيدة عنكم لانكم في فجر الحياة وربما تعيشون لتروا كثيراً من البهائم المريضة التي خدمتكم وكبرت في السن وضعفت وعجزت عن ان تخـدمكم اكثر مما خدمتكم فحذار من ان تكسروا قلب خادم امين عاجز من خدامتكم ببيعه الى الاستعباد حباً بالربح. فالذهب والفضة التي تحصل بهذه الطريقة مجلبة للشر وليس للخير وحين يمر الزمان

ويأتي مساء الحياة تتمجد ظلاله بنور المحبة وليس بنيل الدراهم والربح القبيح الذي سنتركه خلفنا حين «تأتي الراحة مع الليل»

﴿ تعليمات ضرورية عن الحمار ﴾

(١) ان الحمير لا تنال ما تستحقه من الاهتمام والاعتناء اما لان اصحابها لم يفهموها حق الفهم او لانهم عاجزون عن ذلك لقلة ما عندهم من الوسائط

(٢) ان طول حياة الحمار وتحسين عمله متوقفان على حسن معاملة صاحبه له

(٣) ان الحمار الذي يعمل مثل الحصان يفتقر الى الطعام الجيد من الحبوب المخلوطة بالتبن صباحاً ومساء وعند الظهر مقداراً من التبن او البرسيم

(٤) اذا عجز الحمار عن ان يأتي عملاً شاقاً فعلى صاحبه ان يريحه ويؤدي له كثيراً من العشب في الربيع والصيف ويضيف له في الشتاء خليطاً من الحبوب والنخالة

(٥) من اهم الامور في اعالة الحمير كثرة المياه ليشرب مراراً كل يوم ولا سيما الحمير التي تعمل في الطرقات الكثيرة الغبار

(٦) ومما لا غنى عنه في حفظ صحته نظافته. فان حسن سياسته

وتنظيف جلده بفرجون جيد يحفظانه سليماً من الامراض الجلدية

(٧) ومن الضروريات في تحسين احوال الحمار حفظ اسطبله نظيفاً صحياً لان الهواء الفاسد والرطوبة والاقذار تؤخر صحته وعليه فتجديد الهواء وانحرافه عن المجرى الهوائي وجعل فراشه من العشب الجاف من الامور المهمة في تحسين صحته وكذلك نزع الرطوبة من العشب وتجديده من وقت الى آخر وبذلك يبقي فراشه مدة طويلة بنفقة قليلة

(٨) وكذلك احكام عدته واتقانها ولا سيما الطوق حول عنقه والا تكثر الجروح في كتفيه فيضطر الى التوقف عن العمل

(٩) وهكذا حسن البيطرة من ان يحكم البيطار النعال على الحوافر ولا يحكم الحوافر على النعال وغسلها بشعرية خشنة صباحاً ومساء تقيها من كثير من العوارض الطبيعية

(١٠) وقبل وضع الحمل عليه او سيره بالعربة على صاحبه ان يفتكر في الطريق التي يسير عليها حماره والتلال التي يعلوها وطول مدة السفر ويجعل الثقل موافقاً لذلك ويريحه في سيره ولا سيما في صعوده بوضع حجر خلف دولاب عربته ويجعله يستظل بظل شجرة اذا كانت حرارة الشمس قوية

(١١) والحمير المتقدمة في السن تفتقر الى الطعام الجاف المطحون كما تفتقر اليه الخيل

(١٢) وعلى صاحبه ان يدر به على العمل بغاية اللطف وطول الاناة لانه ليس باطرش ولا بعديم الحس فاذا عامله بالصراخ والضرب زاده خوفاً واضطراباً وارتباكاً ومنعه عن فهم غايته وانجاز مقاصده. فليتأمل المتأملون. «من يَرحم يُرحم»

(انتهى)